

بسم الله الرحمن الرحيم

# التوحيد

في منظار

القرآن و العترة

بقلم: جعفر الهادي

مجلة رسالة القرآن - تير ١٣٧١ ش

## التوحيد: اهتمام القرآن الأول

تحتلّ مسألة التوحيد الدرجة العليا و المرتبة الأولى في سلم المعتقدات التي طلع بها القرآن الكريم على عالم عجّ بالعقائد الوثنيّة، و اكتظّ بالإتجاهات المزيجة بالشرك و الكفر.

و لقد استقطبت هذه المسألة جلّ اهتمام القرآن، باعتبارها القاعدة لكلّ تحرّك، و الأساس لكلّ منهج.

فالتحرّك النابع من «التوحيد» في الربّ و المعبود و الحاكم و المطاع،

يختلف اختلافاً كبيراً عن التحرك  
النابع من «التعددية» في الرب و  
المعبود، و الحاكم و المطاع.

فالأول يؤدي إلى توحيد المسلك و  
المسيرة، و الإتجاه و الهدف، و  
الفكر و الكلمة، و بالتالي ذوبان  
جميع الأنانيات و الشخصانيات في  
بوتقة الإخلاص للسيد الواحد، بينما  
يقود الثاني إلى تعدد المسلك و  
الإتجاه الفكر و الكلمة.

و للأول امتيازاته و محاسنه و  
فوائده و منافعه و معطياته الخيرة.

و للثاني تبعاته و مفسده و خسائره  
و أضراره و آثاره و مخلفاته  
الشريرة.

إنّ المجتمع القائم على أساس من  
عقيدة «التوحيد» مجتمع متناغم في  
أبعاده و جوانبه، منسجم مع ذاته و  
فطرته، لا اختلاف فيه و لا شقاق،  
و لا ازدواجية فيه و لا نفاق...، ذلك  
لأنّه ينطلق من نقطة واحدة، و يسير  
في شارع واحد، و يرمي إلى هدف  
واحد، فلا تشرذم و لا تشتت، و لا  
أنانية و لا نفسانية.

و على العكس من ذلك المجتمع  
الذي يقوم على أساس من التعددية  
المقابلة للتوحيد.

و قد صور القرآن الكريم كلا  
المجتمعين أبلغ تصوير إذ قال:  
«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ  
مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ  
يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ»<sup>1</sup>.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية:  
«و اضرب لقومك مثلاً و قل لهم:  
ما تقولون في جل من المماليك قد

اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف،  
و تنازع كل واحد منهم يدعي أنه  
عبده، فهم يتجادبونهم و يتعاورونه  
في مهن شتى، و إذا عنت له حاجة  
تدفعوه، فهو متحير في أمره سادر،  
قد تشعبت الهموم قلبه، و توزعت  
أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته،  
و على أيهم يعتمد في حاجاته؛ و في  
آخر: قد سلم لمالك واحد و خلص  
له، فهو معتنق لما لزمه من خدمته،  
معتد عليه فيما يصلحه، فهمه  
واحد، و قلبه مجتمع، أي هذين  
العبدان أحسن حالاً و أجمل شأنًا؟

و المراد تمثيل حال من يثبت آلهة  
شئى، و ما يلزمه على قضية مذهبه  
من أن يدّعي كلّ واحد منهم  
عبوديّته، و يتشاكسوا في ذلك و  
يتغالبوا، كما قال تعالى: «و لَعَلَّا  
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ»<sup>٢</sup>، و يبقى هو  
متحيراً ضائعاً لا يدري أيّهم يعبد؟ و  
على ربويّة أيّهم يعتمد؟ و ممّن  
يطلب رزقه؟ و ممّن يلتمس رفقته؟  
فهمّه شعاع و قلبه أوزاع، و حال  
من لم يثبت إلّا إلهاً واحداً، فهو قائم  
بما كلفه، عارف بما أرضاه و  
أسخطه، متفضّل عليه في عاجله،

مؤمّل للثواب في أجله، فهل يستوى  
صفتاهما و حالاهما؟<sup>٣</sup>.

## التعديل: الإهتمام القرآني الثاني

و تحتلّ مسألة «التعديل» الدرجة  
الثانية بعد مسألة التوحيد في سلم  
المعتقدات التي عرضها القرآن  
الكريم؛ و تعنى وصف الله سبحانه  
ذاتاً و فعلاً تكوينياً و تشريعاً بالعدل،  
و عدم الظلم و الجور.

و تشغل هذه المسألة هي الأخرى  
مساحة كبرى من البيان القرآني، و

<sup>٣</sup> . الكشاف، ج ٤، ص ١٢٥.



قد طلع القرآن بهذه المسألة و أكد  
عليها في عصر كانت البشرية  
تعاني فيه من ظلم الحكّام و جور  
الطواغيت، بل و من حيف و ظلم  
كبيرين في مجالات العلاقات  
الإجتماعيّة و العائليّة و الإقتصاديّة.  
قال تعالى:

- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»<sup>4</sup>
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ  
النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»<sup>5</sup>

4 . النساء: ٤٠ .

5 . يونس: ٤٤ .

• «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»<sup>6</sup>

• «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»<sup>7</sup>

و لم تكن مسألة العدل بأقل أهمية من مسألة التوحيد، و لا أقل أثراً في الحياة البشرية في مختلف أبعادها و مجالاتها العائليّة و الإجتماعيّة و الإقتصاديّة و السياسيّة.

فإنّ المجتمع القائم على أسس العدل، و الملتزم بضوابطه و حدوده، الذي لا يعاني فيه أيّ عضو من أعضائه من غمط حقّ أو ظلم و جور، يمكنه

6 . الروم: ٩ .

7 . النحل: ٩٠ .

أن يواصل مسيرته الصاعدة نحو  
الكمال بسلام، و دون أن يعرقل  
حركته شيء.

التوحيد و التعديل على محكّ العقل  
البشري

كلّ هذا واضح لا يحتاج إلى مزيد  
إيضاح، إنّما المهمّ نقطتان هما:

١- إنّ القرآن الكريم حيث أنّه لم ينزل  
ليكون كتاب عصر دون عصر و  
قوم دون قوم و جيل دون آخر بل  
نزل لجميع الأجيال و العصور لهذا

كان عليه أن ينطوي على عنصر  
الخلود و الإستمرار و هو القدرة  
على مخاطبة العقول في جميع  
العصور و القدرة على مواكبة التقدّم  
العقلي ملاحقة التطور العملي  
الصاعد بل التقدّم عليه ليبقى مهيمناً  
على الحركة الفكرية كما وصف  
نفسه بذلك: «و مُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ»<sup>8</sup>.

و لهذا كان طبيعياً أن يتّسم البيان  
القرآني بنوع من التعقيد في  
مضامينه و إن كان يتّسم بالوضوح  
و اليسر في مستوى معيّن بذلك

حافظ القرآن الكريم على طابع  
الخلود و الإستمراريّة إلى جانب  
العوامل الأخرى مثل موافقته  
لمتطلبات الفطرة البشريّة وتلبيته  
للإحتياجات الإنسانيّة الثابتة و  
المستجدّة وأسلوبه الشيق في  
مخاطبة البشر و...

٢- إنّ المجتمع الإسلامي نتيجة  
ارتباطه بالمجتمعات و الحضارات  
الأخرى تعرض لمواجهات فكريّة و  
عقائديّة خطيرة...، و قد كان هذا  
متوقفاً بعد غياب صاحب الرسالة  
نوعاً ما.

و لقد حملت هذه المواجهات  
الفكريّة الوافدة جملة من الأفكار و  
الشبهات و التساؤلات و الشكوك، و  
قد تأثّر كثيرون بهذه الموجات و  
الأفكار، و وقعوا في حبال الشبهات  
و الشكوك و شراكها.

و لو أنّ هذه الشبهات و الشكوك و  
التأثّر بها اقتصر على أمور خاصّة  
و حالات شخصيّة، لهان الخطب  
إذن، و لكن المأساة الكبرى هي أنّ  
هذه الشبهات و الشكوك و التأثّر بها  
امتدّت إلى القرآن الكريم و آياته و

مضامينه، و أَلقت بظلالها على تلكم  
المفاهيم و المضامين.

و بعبارة أوضح، عمد المتأثرون  
بهذه الموجات الفكرية و الشكوك و  
الشبهات، و بعض الأفكار الباطلة  
التي أثارها أو حملتها معها، عمد  
هؤلاء إلى تفسير القرآن و آياته و  
بيان مضامينه و مقاصده بالذهنية  
المريضة، التي تكوّنت لديهم في  
ظلّ الوضع الجديد.

فبينما اتّسمت رؤية القرآن في مجال  
التوحيد - بمعناه الأعمّ - بطابع  
التنزيه و التعديل، حاول هؤلاء

المتأثرون بالموجات الفكرية الوافدة  
تفسير الآيات القرآنية في هذا  
المجال بما يتناقض مع هذا الإتجاه،  
و بالتالي إعطاء صورة مادية بكل  
ما لها من عيوب و نقائص عن الله  
الحق المتعال، الأمر الذي نشأ منه  
التشبيه و التجسيم و التجويز، تأثراً  
بتلك الفلسفات و الأفكار الوافدة  
(المجوسية و الهنديّة و اليونانية).

و ربّما كان بعض هذا يحدث لا عن  
عمد و سوء قصد، بل جهلاً و غفلةً،  
و لكن على كلّ حال شكّلت هذه  
الظاهرة خطراً جدّياً على المنحى



الذي رسمه القرآن لأتباعه و معتقبي  
عقائده.

هذا الوضع الجديد وضع مبدأي  
«التوحيد و التعديل» القرآنيين أمام  
اختبار جدّي، أو بالأحرى جعل  
العقل البشري في مجال فهم الرؤية  
القرآنيّة في صعيد هذين المبدأين  
«التوحيد و التعديل» أمام اختبار  
جدّي؛ و نختار الثاني و نرجّحه،  
لأنّ القصور كان دائماً في مقدرة  
العقل البشري على فهم أحاديث  
السماء، و ليس في قصور أو  
نقصان أحاديث السماء في عرض

الحقائق و إيصالها و البرهنة عليها،  
كما يشهد بذلك الوجدان و التاريخ و  
الوقائع الملموسة.

## أهل البيت و مُهمّة الصيانة والتبيين

هنا برز دور العترة النبويّة الطاهرة  
التي وصفها رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم بقوله: «في كلّ  
خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي  
ينفون عن هذا الدين تحريف  
الضالّين و انتحال المبطلين و تأويل  
الجاهلّين ألا و إنّ أمّتكم و فدكم إلى

الله فانظروا من توفدون»<sup>9</sup>. فقد قام  
الأئمة الطاهرون من أهل البيت  
النبويّ بالمهمّة الكبرى التي رشحوا  
لها، بل التي تشكّل فلسفة وجودهم  
في النظام الإسلامي.

لقد كان طبيعياً و منطقياً أن يكون  
للمسلمين في مثل تلك الظروف و  
الأوضاع و بعد غياب الرسول  
الأكرم - صاحب الرسالة - من  
يرجعون إليه لحلّ ما يواجهونه من

<sup>9</sup> . الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ١٤٨ (ط: المحمديّة) و ص ٩٠ (ط: الميمنية  
بمصر)؛ و ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ (ط: الحيدريّة) و ص  
١٩١ و ٢٧٣ و ٢٩٧ (ط: اسلامبول).

مشاكل فكرية، كما كان في الأمم و  
الرسالات السابقة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم: «لكلّ نبيّ وصيّ و وارث،  
و إنّ وصيّي و وارثي عليّ بن  
أبي طالب».<sup>10</sup>

و قال صلى الله عليه وآله وسلم -  
أيضاً - لعليّ بن أبي طالب: «أنت  
أخي و وارثي».

قال: «و ما أريّ منك»؟

<sup>10</sup> . ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٢٧٣؛ كنوز الحقائق للمناوي الشافعي،  
ص ١٣٠ (ط: بولاق) و ص ١١٠ (طبعة أخرى)؛ و ينابيع المودة للقندوزي الحنفي  
ص ٧٩ و ٢٣٢ و ٢٤٨ (ط: اسلامبول).

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ورت الأنبياء من قبلي، كتاب ربهم و سنة نبيهم». <sup>١١</sup> و كان على المسلمين أن يرجعوا بدورهم إلى أهل البيت عليهم السلام و في مقدمتهم الإمام عليّ عليه السلام في مثل هذه الحالات بخاصّة لبيّن أهل البيت لهم ما أبهم عليهم، فلا تكون غمّة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي». <sup>١٢</sup>

---

<sup>١١</sup> . الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري، ج ٢، ص ٢٣٤ (ط: ٢)؛ و تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، ج ١، ص ١٠٨، ح: ١٤٨ (ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب).  
<sup>١٢</sup> . ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، ج ٢، ص ٤٨٨، ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩؛ كنوز الحقائق للمناوي: ص ٢٠٣ (ط: بولاق) و

و قال تعالى: «فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ  
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».<sup>١٣</sup> و قد روي  
أنّ هذه الآية نزلت في أهل البيت  
عليهم السّلام.<sup>١٤</sup>

و فعلاً قام أهل البيت في الوضع  
الجديد الذي طرأ على الساحة  
الإسلامية بعد رسول الله على أثر  
الفتوحات، و انفتاح الأمة الإسلامية  
على الحضارات المختلفة المشربة  
بالأفكار الفلسفية المتنوّعة بما فيها

---

ص ١٧٠ (طبعة أخرى)؛ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، ج ٥،  
ص ٣٣؛ و ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ١٨٢ (ط: إسلامبول).

١٣ . النحل: ٤٣ - الأنبياء: ٧.

١٤ . تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٢٧٢؛ تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١٠٩؛ تفسير ابن  
كثير، ج ٢، ص ٥٧٠؛ روح المعاني للألوسي، ج ١٤، ص ١٣٤؛ ينابيع المودة  
للقندوزي الحنفي، ص ٥١ و ١٤٠ (ط: الحيدرية) و ص ٤٦ و ١١٩ (ط: إسلامبول)  
و شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي، ج ١، ص ٣٣٤، ح ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٣ و ٤٦٥  
و ٤٦٦.

من الإنحراف و الضعف و قام  
أهل البيت بمهمّتين في صعيد القرآن:

١- مهمّة صيانة المفاهيم القرآنيّة  
بالبيان المبرهن و الكلام المستدلّ.

٢- مهمّة تبيين المضامين القرآنيّة و  
الكشف عن مقاصد سلسلة من  
الآيات اقتضتها الظروف الجديدة.

و بذلك رسموا الخطّ المستقيم و  
الأصيل الذي يميّز به و بواسطته  
كلّ انحراف أو ميل عن الحقّ، أو  
خلط بين الحقائق الإلهيّة النقيّة و  
الأفكار البشريّة السقيمة.

و لا ننسى أنّ كلّ ما ذكره أهل البيت  
في تفسير الآيات القرآنيّة، و بيان  
مقاصده، و تبين مضامينه، كان من  
العلم الذي استودعه رسول الله صلّى  
الله عليه وآله عند أمير المؤمنين  
عليّ بن أبي طالب عليه السّلام  
حسبما قال رسول الله صلّى الله عليه  
وآله وسلّم: «عليّ عيبة علمي».<sup>١٥</sup>  
ثم ورّثه الأئمّة من ولده كائناً بعد  
كبير كما أسلفنا.

<sup>١٥</sup> . الجامع الصغير للسيوطي و جمع الجوامع له كما في ترتيبه، ج ٦، ص ١٥٣.



# العتره و مسائل التوحيد القرآنيّة

أكد القرآن الكريم على مسألة التوحيد في آيات عديدة، و يقصد من التوحيد معناه الأعمّ الذي يبحث فيه عن الله تعالى و صفاته و أفعاله، غير أنّ بعض أقسام التوحيد كانت واضحة، مثل وحدانيّة الذات الإلهية و عدم تعدّدها، فلم يتردّد المسلمون ولا يوماً واحداً في هذا الجانب.

ولكن كان هناك بعض الأقسام بحكم دقّته و خفاء مساربه و مداخله غير واضح إلا لمن أعطي قوّة في التفكير و تعمّقاً في النظر، و ذلك

مثل قضية التشبيه و كيفية استناد الصفات إلى الذات الإلهية و ما شابه ذلك. و قد تعرّض هذا القسم الدقيق بطبيعته إلى التشويش في ظلّ الموجات الفلسفية الوافدة إلى البلاد الإسلامية عُقب العصر الإسلامي الأوّل و على أثر الفتوحات و الإنفتاحات الحاصلة.

و أبرز هذه المسائل التي تعرّضت لمثل هذه الحالة (أو بالأحرى أبرز المسائل التي ظهرت في ظلّ هذه الأوضاع) هي:

١- تشبيه الذات الإلهية بالمخلوقات.

٢- التجسّم الذي هو من لوازم  
المسألة الأولى.

٣- ما يترتّب على المسألة الثانية من  
التركّب و عدم البساطة و التحيّر و  
التنقلّ و المحدوديّة و الجهة و  
الصفات الإمكانية.

٤- زيادة الصفات على الذات.

٥- سلب الصفات عن الذات نهائياً.

٦- إثبات العرش بمعنى محلّ خاصّ  
للإستقرار و الجلوس على غرار  
عرش الملوك و أرائكهم.

٧- الرؤية البصريّة.

و كان أكثر هذه المسائل المناقضة  
للمنحى الذي رسمه القرآن الكريم  
في مجال التوحيد، من إفرازات  
الموجة الفكرية و الفلسفية الوافدة،  
أو الهزة العقائدية التي حصلت بعد  
غياب صاحب الرسالة. و كما أسلفنا  
لو أنّ هذه المسائل و التأثير بها كان  
مقصوراً على حدود معينة لهان  
الخطب ولكن المشكلة الكبرى أنّ  
من تأثروا بها عمدوا إلى حمل  
الآيات القرآنية عليها و تفسيرها بها  
عن وعي و عمد أو جهل و غفلة.

و لو أنّ هذا الإتّجاه استمرّ من دون مانع أو رادع لكانت مفاهيم القرآن التوحيدية النقيّة تضيع في ركام هذه الإستنباطات المشوّهة و لكان الأمر يلتبس بشدّة على الأجيال اللاحقة.

في مثل هذه الظروف البالغة الحسّاسيّة نهض أئمّة أهل البيت و في طليعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ... و الباقر و الصادق عليهم السّلام بتوضيح الحقائق، و دفع الشبه و الذود عن حياض الفكر القرآني الإلهي الصافي؛ و كانت لهم في جميع هذه المسائل التي سبق

ذكرها إشارات كافية، بل بيانات وافية، حفظت الكتاب، و حافظت على طهارته و نقاوته، و ساعدت و تساعد كلّ من يريد الإرتشاف من منهله العذب و الإستقاء من مورده الزلال على أخذ مطلوبه بأحسن وجه و أفضل صورة.

**نماذج من هدايات العترة في صعيد التوحيد**

و لقد كان أوّل ما نبّه عليه أهل البيت في مجال معرفة و دراسة القضايا

التوحيدية هو إرجاعهم إلى  
القرآن الكريم باعتباره المصدر  
الأصل و الكامل في صعيد المسائل  
التوحيدية ولكن إلى جانب التأكيد  
على وجوب التوجه و الإلتفات إلى  
سنة الرسول و أهل بيته أيضاً ... مع  
التنبية على نقطة هامة أخرى و هي  
الإحتكام إلى العقل فيما يكون له  
القدرة على فهمه و معرفته، لا  
مطلقاً، لأنّ للعقل حدوداً لا يجوز له  
تجاوزها و تعديها.

أنظر إلى ما يقوله الإمام عليّ بن  
أبي طالب عليه السلام في الإجابة

على سؤال من سأله قائلاً: يا  
أمير المؤمنين! صف لنا ربك تبارك  
و تعالی لنزداد له حباً، و به معرفة!  
فأجابه الإمام بخطاب هامّ قال فيه:  
ما ذلك القرآن عليه من صفته فاتبّعه  
ليوصل بينك و بين معرفته، و أتمّ  
به و استضيء بنور هدايته، فإنّها  
نعمة و حكمة أوتيتهما، فخذ ما  
أوتيت و كن من الشاكرين، و رأس  
الطرّ ما ذلك الشيطان عليه ممّا ليس  
في القرآن عليك فرضه و لا في سنّة  
الرسول و أئمّة الهدى أثره، فكل



علمه إلى الله عزّوجلّ، فإنّ ذلك  
منتهى حقّ الله عليك.

و اعلم أنّ الراسخين في العلم هم  
الذين أغناهم الله عن الإقحام في  
السدد المضروبة دون الغيوب،  
فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا  
تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا:  
أَمَّا بِهِ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا فمدح  
عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول  
ما لم يحيطوا به علماً و سمي تركهم  
التعمّق في ما لم يكلفهم البحث عنه  
منهم رسوخاً، فاقتصر على ذلك، و

لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر  
عقلك فتكون من الهالكين<sup>16</sup>.

و لا يعني هذا إلا الإستناد إلى العقل  
في حدود ما يقدر العقل على فهمه و  
إدراكه، لأنّ هناك تأكيدات كثيرة في  
أحاديث أهل البيت على دور العقل،  
و حثّاً أكيداً على الإستفادة منه، كما  
يُتضح ذلك لمن راجع الباب الأوّل  
من كتاب الكافي.

هذا و نأتى فيما يلي بنماذج من  
هدايات أهل البيت في مجال المسائل  
التوحيدية التي يعرضها القرآن

<sup>16</sup> . التوحيد للصدوق (المتوفى عام ٣٨١هـ.ق) ، ص ٥٥ - ٥٦.

الكريم تكشف في الدرجة الأولى  
عن مقاصد القرآن الحقيقيّة في هذه  
المسائل و تكشف في الدرجة الثانية  
عن فهم أهل البيت لهذه القضايا  
الدقيقة.

## معنى «الواحد» و الواحديّة

ماذا يعني «الواحد» الذي يصف به  
الله تعالى نفسه في كتابه العزيز إذ  
يقول: «وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ». 17

لقد أعطى أهل البيت تفسيراً دقيقاً و  
جامعاً لمفهوم الواحد الذي وصف  
الله به نفسه و هو تفسير يضع حداً  
لكل التمخّلات و التخيلات.

قال محمّد بن أبي عمير: دخلت على  
سيّدي موسى بن جعفر (عليهما  
السّلام) فقلت له: يا ابن رسول الله!  
علمني التوحيد.

فقال: «يا أبا أحمد! لا تتجاوز في  
التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في  
كتابه فتهلك، و اعلم أنّ الله تعالى  
واحد أحد صمد، لم يلد فيورث، و  
لم يولد فيشارك و لم يتخذ صاحبة

و لا ولدأ و لا شريكأ و إنّه الحيّ  
الذي لا يموت والقادر الذي لا يعجز  
و القاهر الذي لا يغلب و الحلیم الذي  
لا يعجل و الدائم الذي لا يبيد و  
الباقى الذي لا يفنى و الثابت الذي لا  
يزول و الغنيّ الذي لا يفتقر، و  
العزیز الذي لا يذلّ، و العالم الذي  
لا يجهل، و العدل الذي لا يجوز، و  
الجواد الذي لا يبخل، و إنّه لا تقدره  
العقول، و لا تقع عليه الأوهام، و لا  
تحيط به الأقطار، و لا يحويه مكان،  
و لا تدركه الأبصار و هو يدرك  
الأبصار و هو اللطيف الخبير، و

ليس كمثلها شيء و هو السميع  
البصير، «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ  
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ  
سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ  
إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا»<sup>١٨</sup> و هو  
الأول الذي لا شيء قبله و الآخر  
الذي لا شيء بعده، و هو القديم و  
ما سواه مخلوق محدث، تعالى عن  
صفات المخلوقين علواً كبيراً.<sup>١٩</sup>

<sup>١٨</sup> . المجادلة: ٧ .

<sup>١٩</sup> . التوحيد للصدوق، ص ٧٦ .

# نفي التشبيه و التعطيل

إنَّ أبرز ما تعرض له البارئ سبحانه في ظلّ العقائد و الفلسفات الأجنبيةّ الوافدة هو التشبيه الذي قابله التعطيل، فبينما مضى البعض يصف الذات الإلهية المقدّسة بصفات تشبه صفات المخلوقين، حتّى كأنّه تعالى واحد منهم و من جنسهم، راح آخرون ينفون عنها كلّ صفة فراراً من ورطة الموقف الأوّل الخاطئ المنحرف.

فَتَصَدَّى أَهْلَ الْبَيْتِ لِهَذَيْنِ الْمَوْقِفَيْنِ  
الشَّاذِّينِ، مُؤَكِّدِينَ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ  
الْقُرْآنُ وَانْتَهَجَهُ فِي هَذَا الصَّعِيدِ.

قال الشيخ الصدوق: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ  
الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ  
قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارِ،  
قال: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قال  
حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ  
عَثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ،  
قال: كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
بِمَسَائِلَ فِيهَا: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
هَلْ يُوصَفُ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ



فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَنْ تَكْتُبَ  
إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ،

فَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى يَدَيَّ عَبْدُ  
الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ سَأَلَتْ رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ  
التَّوْحِيدِ وَ مَا ذَهَبَ فِيهِ مِنْ قِبَلِكَ  
فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ  
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا  
يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللَّهُ  
تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَى  
اللَّهِ وَ إِعْلَمُ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمَذْهَبَ  
الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ  
بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
فَانْفِ عَنِ اللَّهِ الْبُطْلَانَ وَ النَّشْبِيَةَ فَلَا

نَفِيٍّ وَ لَا تَشْبِيهَهُ هُوَ اللَّهُ النَّابِئُ  
الْمَوْجُودُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ  
الْوَاصِفُونَ وَ لَا تَعْدُ الْقُرْآنَ فَتَضِلَّ  
بَعْدَ الْبَيَانِ»<sup>20</sup>.

كما نفوا في هذا السياق مقولة خلق  
الله آدم على صورته، و هي المقولة  
اليهودية الجذور، لكونها تستلزم  
التشبيه و التجسيم و ذلك بالإستدلال  
بالقرآن نفسه.

حدَّثنا عليّ بن أحمد بن عبدالله بن  
أحمد بن أبي عبدالله البرقي (رحمه  
الله)، عن أبيه، عن جدّه أحمد بن أبي

عبدالله، عن أبيه، عن عبد بن بحر،  
عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد  
بن مسلم، قال: سألتُ أبا جعفر عليه  
السَّلَامُ عَمَّا يَرُؤُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ  
عَلَى صُورَتِهِ.

فَقَالَ: هِيَ صُورَةٌ مُخَدَّتَةٌ مَخْلُوقَةٌ  
اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَ اخْتَارَهَا عَلَى سَائِرِ  
الصُّورِ الْمُخْتَلَفَةِ فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ  
كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَ  
الرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: «بَيْتِي»<sup>٢١</sup> وَ  
قَالَ: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»<sup>٢٢</sup>.

٢١ . البقرة: ٢٥ .

٢٢ . الحجر: ٢٩، التوحيد، ص ١٠٣ .

## معنى الوجه

و لما كانت الصورة منتقية في  
ساحته سبحانه فلا هو جسم و لا  
صورة، لم يكن له وجه بالمعنى  
الدائر في العرف، و هو مقدّم الرأس  
من قصائص الشعر إلى طرف  
الذقن، غير أنّ البعض تأثر بموجة  
التجسيم و التشبيه التبس عليه الأمر  
لما قرأ قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا  
وَجْهَهُ»<sup>٢٣</sup> أو كاد... على أنّ الوجه  
وصف شائع في التوراة، و هو  
بالمعنى المذكور نظراً لبقية ما جاء

ففيها من الصفات. وقد أوضح  
أهل البيت هذا الأمر بنحو يليق  
بقدرته تعالى.

قال الشيخ الصدوق: قال أبي  
رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن  
عبدالله: قال: حدّثنا أحمد بن محمد  
بن عيسى عن محمد بن إسماعيل بن  
بزيع، عن منصور بن يونس، عن  
جليس لأبي حمزة، عن أبي حمزة،  
قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام:  
يقول الله عزّ وجلّ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ  
إِلَّا وَجْهَهُ».<sup>٢٤</sup>

قال: «فِيهِلِكَ كُلُّ شَيْءٍ وَ يَبْقَى الْوَجْهَ،  
إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ  
يُوصَفَ بِالْوَجْهِ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: كُلُّ  
شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا دِينَهُ وَ الْوَجْهَ الَّذِي  
يُؤْتِي مِنْهُ»<sup>25</sup>.

و قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ  
أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)،  
قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ  
عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ  
يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْمَكَارِيِّ عَنْ  
أَبِي بَصِيرٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمَغِيرَةِ  
النَّصْرِيِّ، قال: سألت أبا عبد الله

عليه السلام عن قوله عز وجل: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ».<sup>٢٦</sup>

قال: كلُّ شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق<sup>27</sup>.

و قال: حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه (رحمه الله) عن محمّد بن يحيى العطار عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمّد بن أبي نصير، عن صفوان الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: كلُّ شيء هالك إلا وجهه، قال: من أتى الله بما أمر به من طاعة محمّد

<sup>٢٦</sup> . القصص: ٨٨ .

<sup>27</sup> . المصدر .

و الأئمة من بعده صلوات الله عليهم،  
فهو الوجه الذي لا يهلك، ثم قرأ:  
«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» .<sup>28</sup>

## معنى اليد و الساق

لقد تكررت لفظة «اليد» في القرآن  
الكريم في آيات متعددة بالإفراد و  
الجمع، و قد حملها البعض - في  
ضوء التأثر بعقيدة التجسيم - على  
اليد العرفية، أي العضو الذي يتصل  
بالكتف، و يؤدي أعمالاً كثيرة من  
أخذ و رفع و كتابة و ضرب و



عشرات الأعمال الأخرى، و تنتهي  
بالأصابع و الأظافر.

و لكن هذا هو التجسيم بعينه الذي  
يرفضه القرآن و قد فسّر أهل البيت  
عليهم السلام هذه الآيات و هذه  
اللفظة بالصورة التي بقدس ذي  
الجلال.

و فيما يلي نأتي ببعض النماذج من  
تفسير أهل البيت عليهم السلام:

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا عليّ بن  
أحمد بن محمد بن عمران الدقاق  
(رحمه الله) قال: حدّثنا محمد بن  
إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا

الحسين بن الحسن، قال: حدّثنا بكر،  
عن أبي عبد الله البرقي، عن عبد الله  
بن بحر، عن أبي أيوب الخزاز، عن  
محمد بن مسلم، قال: سألتُ أبا جعفرٍ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا  
إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ  
بِيَدَيَّ»<sup>٢٩</sup>.

فَقَالَ: الْيَدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، الْقُوَّةُ وَ  
النَّعْمَةُ، قَالَ: «وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا  
الْأَيْدِ»<sup>٣٠</sup> وَ قَالَ: «وَالسَّمَاءَ بَيْنَيْهَا  
بِأَيْدٍ»<sup>٣١</sup>، أَيِ بِقُوَّةٍ وَ قَالَ: «وَ أَيْدَهُمْ

٢٩ . ص: ٧٥ .

٣٠ . ص: ١٧ .

٣١ . الذاريات: ٤٧ .

بِرُوحٍ مِنْهُ»<sup>٣٢</sup>، أَيِ قَوَّاهُمْ، وَ يُقَالُ:  
لِفُلَانٍ عِنْدِي أَيَادٍ كَثِيرَةٌ، أَيِ: فَوَاضِلٌ  
وَ إِحْسَانٌ وَ لَهُ عِنْدِي يَدٌ بَيضَاءُ، أَيِ  
نِعْمَةً<sup>٣٣</sup>.

وَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
عَصَامِ الْكُلَيْنِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ)، قَالَ:  
حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ،  
قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ  
أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ عَلِيِّ  
بْنِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ:  
سَأَلْتُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ

٣٢ . المجادلة: ٢٢ .

٣٣ . التوحيد للصدوق، ص ١٥٣ .

لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أُسْتَكْبِرْتَ»، قَالَ:  
يَعْنِي بِقُدْرَتِي وَ قُوَّتِي.<sup>34</sup>

كما أنّ لفظة الساق هي الأخرى  
وردت في الكتاب العزيز، و قد  
توهم البعض فحملها على أنّ لله ساقاً  
و رجلاً، و ربّما نسبوا إليه ما فوق  
ذلك من الحقّ و كما ستعرف، إذ  
لا بدّ من ذلك لمن له ساق و رجل.

و قد كشف أهل البيت عليهم السّلام  
القناع عن حقيقة معنى هذه اللفظة  
في الكتاب العزيز بشكل تقتضيه  
قداسة ذي الجلال.

قال الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد: قال أبي (رحمه الله): حدثنا سعد بن عبدالله، عن إبراهيم بن هاشم عن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد بن عليّ الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ»<sup>٣٥</sup>.

قال: تبارك الجبار ثم أشار إلى قدمه فكشف عنها الأزار. قال: «وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» قال: أَفْحَمَ الْقَوْمُ وَ دَخَلَتْهُمُ الْهَيْبَةُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ  
ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ  
هُمْ سَالِمُونَ.

ثم قال الصدوق: قال محمد بن علي  
مؤلف هذا الكتاب: قوله عليه  
السلام: تبارك الجبار و أشار إلى  
ساقه فكشف عنها الإزار، يعني به:  
تبارك الجبار أن يوصف بالساق  
الذي هذا صفته.<sup>36</sup>

حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن  
الوليد (رحمه الله) قال: حدّثنا محمد  
بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن

محمّد بن عيسى، عن أحمد بن  
محمّد بن أبي نصر، عن الحسين بن  
موسى، عن عبيد بن زرارة، عن  
أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن  
قول الله عزّ وجلّ: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن  
سَاقٍ»<sup>٣٧</sup>.

قال: كشف إزاره عن ساقه و يده  
الأخرى على رأسه فقال: سبحان  
ربّي الأعلى.

ثمّ قال الشيخ الصدوق بعد نقل هذه  
الرواية: قال مؤلّف هذا الكتاب:  
يعنى قوله: «سبحان ربّي الأعلى»

تنزيه لله عزّ وجلّ، و جلّ أن يكون  
له ساق. 38

## التشبيه المنفيّ في صعيد الواحديّة

و لقد كان أهل البيت عليهم السّلام  
دقيقين كلّ الدقّة إلى درجة أنّهم  
فرزوا بين التشابه اللفظي و التشابه  
المعنوي في الواحد، دفعاً لتوهم  
وجود التشابه بين الخالق و  
المخلوق، و لو من جهة الواحديّة.

يقول الفتح بن يزيد الجرجاني:  
لقبت أبا الحسن الرضا عليه السّلام



فقلت: ... فالله واحد و الإنسان واحد،  
فليس قد تشابهت الوجدانية؟

فقال: «أحلت ثبّتك الله، إنّما التشبيه  
في المعاني؛ فأما الأسماء فهي  
واحدة، و هي دلالة على المسمّى،  
و ذلك أنّ الإنسان و إن قيل واحد و  
ليس باثنين و الإنسان نفسه ليس  
بواحد، لأنّ أعضائه مختلفة و ألوانه  
مختلفة غير واحدة و هو أجزاء  
مجزأة ليس سواء، دمه غير لحمه،  
و لحمه غير دمه، و عصبه غير  
عروقه، و شعره غير بشره، و  
سواده غير بياضه، و كذلك سائر

جميع الخلق، فالإنسان واحد في  
الاسم، لا واحد في المعنى، والله  
جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا  
اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة  
ولا نقصان، فإنّما الإنسان المخلوق  
المصنوع المؤلّف فمن أجزاء  
مختلفة و جواهر شتّى، غير أنّه  
بالإجماع شيء واحد<sup>39</sup>. والمراد  
من «أحلت» أي: أثبت بالشيء  
المحال. وقد أراد الإمام بقوله: «إنّما  
التشبيه في المعاني» أنّ التشبيه  
الذي ننفيه إنّما هو في المعاني و  
مدلولات الألفاظ؛ أمّا التشابه في

الأسماء و الألفاظ فهو واقع و لا  
يضرّ بوحدة ذاته تعالى، لأنّ  
الأسماء فيه تعالى و في غيره واحدة  
متشابهة.

## معنى الصمد

و لما كانت حقيقة الصمد مكملة  
لحقيقة الوجدانية لهذا أفاض الأئمة  
المطهّرون في بيان المراد من هذه  
اللفظة في سورة الإخلاص تعميقاً  
للرؤية التوحيدية و التي طلع بها  
القرآن الكريم و توضيحاً لها بإبلاغ  
توضيح.

قال الشيخ الصدوق: قال وهب بن وهب القرشي: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثم سألوه عن الصمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسة أحرف:

فالألف دليل على إنيته، و هو قوله عز وجل: «شهد الله أنه لا إله إلا هو»<sup>٤٠</sup> و ذلك تنبيه و إشارة إلى الغائب عن درك الحواس.

و اللّام دليل على إلهيته بأنّه هو الله،  
و الألف و اللّام مدغمتان لا يظهران  
على اللسان<sup>٤١</sup>، و لا يقعان في السمع،  
و يظهران في الكتابة، دليلان على  
أنّ إلهيته بلطفه خافية لا تدرك  
بالحواسّ و لا تقع في لسان و اصفٍ،  
و لا أذن سامع، لأنّ تفسير الإله هو  
الذي أله الخلق عن درك ماهيته و  
كيفية بحسّ أو بوهم؛ لا، بل هو  
مبدع الأوهام و خالق الحواسّ، و  
إنّما يظهر ذلك عند الكتابة دليل  
على أنّ الله سبحانه أظهر ربوبيته  
في إبداع الخلق و تركيب أرواحهم

<sup>٤١</sup> . في حال الوصل، و هذا معنى الإدغام اللغوي.

اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا  
نظر عبد إلى نفسه لم يرَ روحه،  
كما أنّ لام الصمد لا تتبين و لا  
تدخل في حاسّة من الحواسّ  
الخمسة، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر  
له ما خفي و لطف. فمتى تفكّر العبد  
في ماهيّة البارئ و كيفيّة أله فيه و  
تحير و لم تُحِط فكرته بشيء يتصوّر  
له، لأنّه عزّوجلّ خالق الصور،  
فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنّه  
عزّوجلّ خالقهم و مركب أرواحهم  
في أجسادهم.

و أمّا الصاد فدلّيل على أنّه عزّوجلّ  
صادق و قوله صدق و كلامه  
صدق، و دعا عباده إلى اتّباع  
الصدق بالصدق و وعد بالصدق دار  
الصدق.

و أمّا الميم فدلّيل على ملكه، و أنّه  
الملك الحقّ، لم يزل و لا يزال و  
لا يزول ملكه.

و أمّا الدال فدلّيل على دوام ملكه، و  
أنّه عزّوجلّ دائم تعالى عن الكون و  
الزوال، بل هو عزّوجلّ يكوّن  
الكائنات الذي كان بتكوّينه كلّ  
كائن. ثمّ قال عليه السّلام: لو وجدت

لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة  
لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان  
و الدين و الشرائع من الصمد، و  
كيف لي بذلك و لم يجد جدّي أمير  
المؤمنين عليه السّلام حملة لعلمه  
حتى كان يتنفس الصعداء و يقول  
على المنبر: «سلوني قبل أن تفقدوني!  
فإنّ بين الجوانح منّي علماً جمّاً، هاه  
هاه ألا لا أجد من يحمّله، ألا و إنّي  
عليكم من الله الحجّة البالغة، فلا  
تتولّوا قوماً غضب الله عليهم، قد  
يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار  
من أصحاب القبور».



ثُمَّ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي مَنْ عَلَيْنَا، وَوَفَّقَنَا لِعِبَادَتِهِ،  
الْأَحَدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ  
وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَ جَنَّبَنَا عِبَادَةَ  
الْأَوْثَانِ، حَمْدًا سَرْمَدًا وَ شُكْرًا  
وَاصِبًا وَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَمْ يَلِدْ وَ  
لَمْ يُولَدْ»، يَقُولُ: لَمْ يَلِدْ عَزَّ وَجَلَّ  
فِيكَونَ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُهُ، وَ لَمْ يُولَدْ فَيَكُونُ  
لَهُ وَالِدٌ يَشْرِكُهُ فِي رِبُوبِيَّتِهِ وَ مَلِكُهُ،  
«وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، فَيَعَاوَنُهُ  
فِي سُلْطَانِهِ. 42

و قال الشيخ الصدوق أيضاً: قال  
وهب بن وهب القرشي: و حدثني  
الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه  
الباقر عن أبيه أن أهل البصرة كتبوا  
إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام  
يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد  
فلا تخوضوا في القرآن، و لا  
تجادلوا فيه، و لا تتكلموا فيه بغير  
علم، فقد سمعت جدي رسول الله  
صلى الله عليه و آله و سلم يقول:  
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ  
مقعده من النار؛ و إن الله سبحانه قد

فسّر الصمد، فقال: «اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ

الصَّمَدُ»، ثم فسّره، فقال: «لَمْ يَلِدْ وَ  
لَمْ يُؤَلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

«لم يلد»: لم يخرج منه شيء كثيف

كالولد و سائر الأشياء الكثيفة التي

تخرج من المخلوقين، و لا شيء

لطيف كالنفس، و لا يتشعب منه

البدوات كالسنة و النوم و الخطرة و

الهمّ و الحزم و البهجة و البكاء و

الخوف و الرجاء و الرغبة و السامة

و الجوع و الشبع، تعالى أن يخرج

منه شيء، و أن يتولد منه شيء

كثيف أو لطيف؛ «و لم يولد»: لم

يتولّد من شيء و لم يخرج من شيء، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، و الدابّة من الدابّة، و النبات من الأرض، و الماء من الينابيع، و الثمار من الأشجار، و لا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، و السمع من الأذن، و الشمّ من الأنف، و الذوق من الفم<sup>٤٣</sup> و الكلام من اللسان، و المعرفة و التمييز من القلب<sup>٤٤</sup>، و

---

<sup>٤٣</sup> . هذه الثلاثة من قبيل خروج القوّة و ظهورها في محلّها، لا خروجها من المحلّ  
كخروج قوّة البصر إلى خارج العين على القول بالشعاع، و يمكن أن تكون كذلك و  
لما يدركها الإنسان (المعلّق على توحيد الصدوق).

<sup>٤٤</sup> . كخروج النور من النيّر.

كالنار من الحجر؛ لا، بل هو الله  
الصمد الذي لا من شيء و لا في  
شيء و لا على شيء، مبدع الأشياء  
و خالقها، و منشئ الأشياء بقدرته،  
يتلاشى ما يخلق للفناء بمشيئته، و  
يبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله  
الصمد الذي لم يلد و لم يولد، عالم  
الغيب و الشهادة الكبير المتعال و لم  
يكن له كفواً أحد»<sup>45</sup>.

إنّ التفاسير المختلفة عن الصمد لا  
يعني أنّ هناك اختلافاً و تناقضاً، بل

يعني أنّ الكلمة تتّسع لأكثر من  
معنى و بعد.

## موقف حاسم من مسألة الرؤية

إنّ للقرآن موقفاً حاسماً من مسألة  
رؤية الله سبحانه، فهو ينفي بكلّ  
قاطعية رؤية الله و يحيلها، و قد  
أكّد أهل البيت عليهم السّلام هذا  
الموقف و استدلّوا على نفي الرؤية  
البصرية بأدلة قويّة و فسّروا الآيات  
القرآنية في هذا المجال بنحو يرفع  
كلّ إبهام و غموض في هذه  
المسألة.

حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن  
عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا  
محمّد بن يعقوب الكليني عن أحمد  
بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبار  
عن صفوان بن يحيى قال: سألتني  
أبوقرة المحدث أن أدخله على  
أبي الحسن الرضا عليه السّلام،  
فستأذنته في ذلك فأذن لي، فدخل  
عليه فسأله عن الحلال و الحرام و  
الأحكام حتى بلغ سؤاله التوحيد،  
فقال أبوقرة: إنّنا روينا أنّ الله  
عزّ وجلّ قسم الرؤية و الكلام بين  
اثنتين فقسم لموسى عليه السّلام

الكلام و لمحمد صلى الله عليه و آله  
و سلم الروية، فقال أبو الحسن  
عليه السلام: فمن المبلغ عن الله  
عز وجل إلى الثقلين؛ الجن و الإنس:  
«لا تُدركهُ الأبصارُ وَ هُوَ يُدركُ  
الأبصارَ»<sup>٤٦</sup> و «وَ لا يُحيطونَ به  
علماً»<sup>٤٧</sup> و «ليسَ كمثلِه شيءٌ»<sup>٤٨</sup>؛  
أليس محمداً صلى الله عليه و آله و  
سلم؟

قال: بلى!

<sup>٤٦</sup> . الأنعام: ١٠٣ .

<sup>٤٧</sup> . طه: ١١٠ .

<sup>٤٨</sup> . الشورى: ١١ .



قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق  
جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله،  
و أنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، و  
يقول: «لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ  
يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ  
عِلْمًا، وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ثمّ  
يقول: أنا رأيتُه بعيني، و أحطت به  
علمًا، و هو على صورة البشر، أما  
تستحيون!؟

ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن  
يكون يأتي عن الله بشيء، ثم يأتي  
بخلافه من وجه آخر!؟

قال أبو قرة: فإنه يقول: «وَلَقَدْ رَءَاهُ  
نَزَّلَةً أُخْرَى»<sup>٤٩</sup>.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنَّ بعد  
هذه الآية ما يدلُّ على ما رأى،  
حيث قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا  
رَأَى»، يقول: ما كذب فؤاد محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم ما رأت  
عيناه، ثمَّ أخبر بما رأى، فقال: «لَقَدْ  
رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»،  
فآيات الله عزَّ وجلَّ غير الله، وقد  
قال: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»،

فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم و وقعت المعرفة.

فقال أبوقرة: فتكذب بالروايات!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها، و ما أجمع المسلمون عليه أنه لا يُحاط به علم، و لا تدركه الأبصار، و ليس كمثله شيء.<sup>50</sup>

و يقصد الإمام عليه السلام أن الروايات إذا كانت مخالفة للقرآن كذبت بها بالمعنى الذي تزعمونه، و إلا فأحاديث الرؤية و اللقاء و النظر

كالآيات كثيرة متواترة، كما أشار إليها الصدوق في هذا الباب (باب الرؤية)، فتؤول إلى المعنى الصحيح اللائق بجناب قدسه تعالى.

ثم إن الصواب في قوله عليه السلام: «لا يحاط به علم» هو: إمّا لا يحاط بعلم، أو لا يحيط به علم كما في البحار في باب الرؤية، أو لا يحاط به علماً كما في الكافي في باب إبطال الرؤية. هذا و نظراً لأهمية مسألة الرؤية أفاض فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام و ننقل هنا

أحاديث أخرى منهم تحمل ألواناً من  
الإستدلال والتوضيح تكميلاً للفائدة.

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا تميم بن  
عبدالله بن تميم القرشي (رضى الله  
عنه) قال: حدّثني أبي، عن حمدان  
بن سليمان النيسابوري، عن عليّ  
بن محمّد بن الجهم، قال: حضرتُ  
مجلس المأمون و عنده الرضا عليّ  
بن موسى عليهما السّلام، فقال له  
المأمون: يا بن رسول الله! أليس من  
قولك أنّ الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

فسأله عن آيات من القرآن، فكان  
فيما سأله قال له: فما معنى قول الله  
عز وجل: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ  
لَمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي  
أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَايَ»<sup>٥١</sup>، كيف  
يجوز أن يكون كلیم الله موسى بن  
عمران عليه السلام لا يعلم أن الله  
تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية  
حتى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إن كلیم الله  
موسى بن عمران عليه السلام علم  
أن الله تعالى عن أن يرى بالأبصار،

و لكنّه لمّا كلمه الله عزّوجلّ و قرّبه  
نجياً رجع إلى قومه، فأخبرهم أنّ الله  
عزّوجلّ كلمه و قرّبه و ناجاه،  
فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع  
كلامه كما سمعت، و كان القوم  
سبعمئة ألف رجل، فاختر منهم  
سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة  
آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمئة، ثمّ  
اختر منهم سبعين رجلاً لميقات  
ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء،  
فأقامهم في سفح الجبل، و صعد  
موسى عليه السّلام إلى الطور، و  
سأل الله تبارك و تعالى أن يكلمه و

يسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى  
ذكره، و سمعوا كلامه من فوق و  
أسفل و يمين و شمال و وراء و  
أمام، لأنَّ الله عزَّوجلَّ أحدثه في  
الشجرة، ثم جعله منبعثاً منها حتى  
سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا لن  
نؤمن لك بأنَّ هذا الذي سمعناه كلام  
الله حتى نرى الله جهره، فلما قالوا  
هذا القول العظيم و استكبروا و  
عتوا بعث الله عزَّوجلَّ عليهم  
صاعقة فأخذهم بظلمهم فماتوا، فقال  
موسى: يا ربِّ! ما أقول لبني  
إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا:



إِنَّكَ ذَهَبْتَ بِهِمْ فَقْتَلْتَهُمْ، لِأَنَّكَ لَمْ تَكُن  
صَادِقًا فِيمَا ادَّعَيْتَ مِنْ مَنَاجَاةِ اللَّهِ،  
فَأَحْيَاهُمْ اللَّهُ وَبَعَثَهُمْ مَعَهُ.

فَقَالُوا: إِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَرِيكَ أَنْ  
تَنْظُرَ إِلَيْهِ لِأَجَابِكَ وَكُنْتَ تَخْبِرُنَا  
كَيْفَ هُوَ فَنَعْرِفُهُ حَقًّا مَعْرِفَتَهُ!

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا قَوْمَ! إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ، وَلَا كَيْفِيَّةً لَهُ  
وَإِنَّمَا يَعْرِفُ بِآيَاتِهِ وَيَعْلَمُ بِأَعْلَامِهِ.

فَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَسْأَلَهُ.

فقال موسى عليه السلام: يا رب! إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل و أنت أعلم بصلاحتهم.

فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى! اسألني ما سألوك، فلن أؤخذك بجهلهم.

ف عند ذلك قال موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ (و هو يهوي) فَسَوْفَ نَرَاكِ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ (بآية من آياته) جَعَلَهُ دَكَاةً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ (يقول:

رجعت إلى معرفتي بك عن جهل  
قومي) وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>٥٢</sup> منهم  
بأنك لا تُرى. فقال المأمون: لله  
درّك يا أبا الحسن.<sup>٥٣</sup>

و قال الشيخ الصدوق أيضاً: حدّثنا  
عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران  
الدقاق (رحمه الله) قال: حدّثنا محمّد  
بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا  
موسى بن عمران النخعي، عن  
الحسين بن يزيد النوفلي، عن عليّ  
بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن  
أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له:

<sup>٥٢</sup> . الأعراف: ١٤٣ .

<sup>٥٣</sup> . التوحيد للصدوق، ص ١٢١ - ١٢٢ .

أخبرني عن الله عزّ وجلّ، هل يراه  
المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم، و قد رأوه قبلَ يوم القيامة.  
فقلت: متى؟

قال: حين قال لهم: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ  
قَالُوا بَلَىٰ»، ثم سكت ساعة، ثم قال:  
و إنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل  
يوم القيامة، ألسنت تراه في وقتك  
هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت  
فداك، فأحدت بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنك إذا حدثت به فأنكره  
منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر

أنّ ذلك تشبيهه، كَفَرَ<sup>٥٤</sup>، و ليست  
الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين،  
تعالى الله عما يصفه المشبّهون و  
الملحدون<sup>55</sup>.

و قال: حدّثنا أحمد بن جعفر  
الهمداني (رحمه الله)، قال: حدّثنا  
عليّ بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم  
بن هاشم، عن عبدالسلام بن صالح  
الهروي، قال: قلت لعليّ بن موسى  
الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله!  
ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل

<sup>٥٤</sup> . «كفر» فعل ماضى جواب إذا.

<sup>55</sup> . التوحيد للصدوق، ص ١١٧.

الحديث أن المؤمنين يزورون ربهم  
من منازلهم في الجنة؟

فقال (عليه السلام): «يا أبا الصلت!  
إن الله تبارك و تعالى فضل نبيه  
محمدًا صلى الله عليه و آله و سلم  
على جميع خلقه من النبيين و  
الملائكة، و جعل طاعته طاعته، و  
متابعته متابعته، و زيارته في الدنيا  
و الآخرة زيارته، فقال عز وجل:  
«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»  
و قال: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا  
يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>٥٦</sup>،

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله». درجة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في الجنّة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك و تعالى.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! فما معنى الخبر الذي روه أنّ ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟

فقال (عليه السلام): يا أبا الصلت! من وصف الله بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبيأؤه و رسله و

حججه صلوات الله عليهم، هم الذين  
بهم يتوجه إلى الله و إلى دينه و  
معرفته، و قال الله عزوجل: «كُلُّ  
مَنْ عَلَيْهَا فَاِنْ وَ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ  
ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ»<sup>٥٧</sup> و قال  
عزوجل: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا  
وَجْهَهُ»<sup>٥٨</sup>، فالنظر إلى أنبياء الله و  
رُسُلِهِ و حُجَجِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي  
دَرَجَاتِهِمْ ثَوَابٍ عَظِيمٍ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ، و قد قال النبي صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ  
بَيْتِي وَ عَثَرْتِي لَمْ يَرْنِي وَ لَمْ أَرَهُ يَوْمَ

<sup>٥٧</sup> . الرحمن: ٢٦ - ٢٧ .

<sup>٥٨</sup> . القصص: ٨٨ .



القيامة»، و قال (عليه السلام): «إنَّ  
فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني». .  
يا أباالصلت! إنَّ الله تبارك و تعالى  
لا يوصف بمكان، ولا يدركه  
الأبصار و الأوهام.<sup>٥٩</sup>

## لا مكان خاصاً لله تعالى

و لما كانت الذات الإلهية المقدّسة  
منزّهة عن الجسم و التجسّم كان  
طبيعياً بل بديهياً أن تكون منزّهة  
عن التحيز و التمكّن، ولكنّ الزنادقة  
حاولوا الإستدلال ببعض الآيات

على إثبات المكان له تعالى، فانبرى  
الأئمة عليهم السلام لتوضيح هذه  
القضية، و إزالة القناع عن مقصود  
الكتاب العزيز.

قال الصدوق: حدّثنا أبي (رحمه الله)  
قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن  
أبيه، عن ابن أبي عمير عن هشام بن  
الحكم قال: قال أبو شاهر الديصاني:  
إنّ في القرآن آيةً هي قوّة لنا.

قلت: و ما هي؟

فقال: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ  
وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ»<sup>٦٠</sup>، فلم أدر بما

أجيبه، فحججت فخبّرت أبا عبد الله  
عليه السلام، فقال: هذا كلام زنديق  
خبّيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما  
اسمك بالكوفة؟ فإنه يقول: فلان،  
فقل: ما اسمك بالبصرة؟ فإنه  
يقول: فلان، فقل: كذلك الله ربنا في  
السماء إله و في الأرض إله و في  
البحار إله و في كلّ مكان إله.  
قال: فقدمت فأتيت أباشاكر فأخبرته،  
فقال: هذه نقلت من الحجاز<sup>٦١</sup> يعني  
هذا ما يعرفه أهل البيت عليهم السلام  
فقط و كانوا في الحجاز آنذاك.

و قال الصدوق أيضاً: حدثنا حمزة بن محمد العلوي (رحمه الله) قال: أخبرنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا»<sup>٦٢</sup> فقال: «هو واحد، أحدي الذات، بائن من خلقه، و بذاك وصف نفسه و هو بكلّ شيء محيط بالإشراف و الإحاطة و القدرة، لا

يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات  
و لا في الأرض و لا أصغر من  
ذلك و لا أكبر بالإحاطة و العلم لا  
بالذات، لأنّ الأماكن محدودة تحويها  
حدود أربعة<sup>٦٣</sup>، فإذا كان بالذات  
لزمه الحواية<sup>٦٤</sup>.

و يقصد الإمام من قوله: «لا  
بالذات» أنّ معيّته للأشياء لا تكون  
بذاته في أماكن الأشياء على نحو  
الممازجة و المقارنة. نعم، هو معها  
بعلمه و إحاطته القيومية.

<sup>٦٣</sup> . لعلّ المراد من الحدود الأربعة الفوق و التحت، أو الأمام و الورااء و اليمين و اليسار.

<sup>٦٤</sup> . التوحيد للصدوق، ص ١٣١.

# المراد من العرش و الكرسيّ

لقد تردّدت لفظة العرش في القرآن الكريم حوالي ٢٠ مرّة، و تعني هذه اللفظة حسب اللغة و العرف السرير العظيم الذي يجلس عليه الملك و مثله الكرسيّ الذي في القرآن الكريم أيضاً. و قد أكّدت التوراة على استقرار الله سبحانه على سرير و صفته بأوصاف خاصّة و قد تسرب هذا التفسير و التصوير إلى بعض الأذهان ففسّرت العرش و الكرسيّ اللذين جاءا في القرآن الكريم به و لفقت

على طبقه أحاديث و روايات يرجع  
أكثرها إمّا إلى مسلمة أهل الكتاب،  
و إمّا إلى من أخذ عنهم علمه، و  
وثق بهم دون قيد أو شرط.

و قد أقدم أهل البيت على توضيح هذه  
المسألة أيضاً، و نفوا ما ألصقه  
الجاهلون بالله جلّ جلاله و عزّ شأنه  
من الجلوس و الإستقرار على  
كرسيّ أو عرش على هيئة ملوك  
الأرض. و نورد هنا على سبيل  
المثال بعض هذه الأحاديث:

قال الصدوق: حدّثنا محمد بن عليّ  
ماجيلويه رحمه الله، قال: حدّثنا محمد

بن يحيى العطار عن سهل بن زياد  
الأدمي عن الحسن بن محبوب عن  
محمد بن مارد أن أبا عبد الله عليه السلام  
سئل عن قول الله عز وجل: «الرَّحْمَنُ  
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>٦٥</sup>.

فقال: «استوى من كل شيء، فليس  
شيء هو أقرب إليه من شيء»<sup>66</sup>.

و قال (رحمه الله) أيضاً: قال أبي  
(رحمه الله): قال: حدّثنا سعد بن  
عبد الله عن محمد بن الحسين، عن  
صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن  
بن الحجّاج، قال: سألت أبا عبد الله

<sup>٦٥</sup> . طه: ٥

<sup>66</sup> . التوحيد للصدوق، ص ٣١٥.



عليه السلام عن قول الله عز وجل:  
«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»،  
فقال: «استوى من كل شيء، فليس  
شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد  
منه بعيد، و لم يقرب منه قريب،  
استوى من كل شيء».<sup>٦٧</sup>

و قال عن الكرسي: حدّثنا محمد بن  
الحسن بن أحمد الوليد رحمه الله قال:  
حدّثنا الحسين بن أبان عن الحسين  
بن سعيد عن فضالة عن عبد الله بن  
بكير عن زرارة قال: سألت  
أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله  
عز وجل: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

وَ الْأَرْضِ»<sup>٦٨</sup> ، السّموات و الأرض  
وسعن الكرسيّ، أم الكرسيّ وسع  
السّموات و الأرض؟ فقال: «إِنَّ كُلَّ  
شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ»<sup>٦٩</sup>.

و قال: حدّثنا أبي (رحمه الله)، قال:  
حدّثنا سعد بن عبدالله، عن القاسم بن  
محمّد عن سليمان بن داود المنقري  
عن حفص بن غياث، قال: سألت  
أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله  
عزّ وجلّ: «وسع كرسيّه السّموات و  
الأرض» ، قال: «علمه»<sup>70</sup>.

<sup>٦٨</sup> . البقرة: ١٥٥ .

<sup>٦٩</sup> . التوحيد للصدوق، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

<sup>70</sup> . المصدر السابق .

و قال: حدّثنا أبي (رضي الله عنه)،  
قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم عن أبيه  
عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن  
سنان عن أبي عبد الله عليه السلام  
في قول الله عزّ وجلّ: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ».

فقال: «السموات و الأرض و ما  
بينهما في الكرسيّ، و العرش هو  
العلم الذي لا يقدر أحد قدره».<sup>٧١</sup>

و قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن  
الوليد رحمه الله قال: حدّثنا محمّد بن  
الحسن الصفّار، قال: حدّثنا يعقوب

<sup>٧١</sup> . المصدر السابق.

بن يزيد، عن حماد بن عيسى عن  
ربيع عن فضيل بن يسار، قال:  
سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول  
الله عز وجل: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ». فقال: «يا فضيل!  
السموات والأرض وكل شيء في  
الكرسي». <sup>72</sup> وقال: حدثنا أحمد بن  
محمد بن يحيى العطار رحمه الله عن  
أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى  
عن الحجال عن ثعلبة بن ميمون عن  
زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه  
السلام عن قول الله عز وجل: «وَسِعَ  
كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»،

السموات و الأرض وسعن الكرسي  
أم الكرسي وسع السماوات و  
الأرض؟

فقال: «بل الكرسي وسع السموات و  
الأرض و العرش، و كل شيء في  
الكرسي». و يمكن تلخيص مفاد  
كل هذه الأحاديث فيما قاله معلم  
الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله إذ قال:  
العرش في اللغة هو الملك.

قال الشاعر بذلك:

إذا ما بنو مروان ثلث عروشهم  
و أودت كما أودت أياد و حمير

يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم و  
بادوا.

و قال آخر:

أظننت عرشك لا يزول و لا يغير..  
يعني أظننت ملكك لا يزول و لا  
يغير.

و قال الله تعالى مخبراً عن واصف  
ملك ملكة سبأ: «و أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ»<sup>٧٣</sup>، يريد:  
لها ملك عظيم. فعرش الله تعالى هو  
ملكه و استواءه على العرش هو

استيلاؤه على الملك؛ و العرب  
تصف الإستيلاء بالإستواء.

قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق  
من غير سيف و دم مهراق

يريد به قد استوى على العراق.<sup>74</sup>

و خلاصة القول أنّ العرش و  
الكرسيّ هو الكون بأسره و استواؤه  
تعالى هو استيلاؤه بمشيئته و إرادته  
على هذا الكون، لا أنّه سرير كبير  
يجلس الله عليه جلوس المَلِكِ! إذ العلم

<sup>74</sup> . شرح عقائد الصدوق المطبوع من أوائل المقالات للشيخ المفيد (المتوفى عام

و الدين متفقان على تنزيه الخالق  
عز شأنه من صفات الأجسام و  
تقديس العالم الروحاني من شوائب  
المواد<sup>٧٥</sup> على أن ما قلناه في العرش  
و الكرسي هو مجمل الكلام، و إلا  
فإن هناك بحثاً أوسع في هذه  
المسألة، لكن على كل حال ليس  
العرش و الكرسي سريراً و تختاً و  
إنه لأبد من تنزيه الله عن الجسم و  
لوازمه.

و إذا كان الله سبحانه منزهاً عن  
صفات الأجسام لهذا و جب أن تفسر

---

<sup>٧٥</sup> . من تعليق العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني. المصدر السابق، ص ٢٠٤ -



الآيات التي تتضمن التصريح  
بمجبوبة غير المؤمنين عن الله، و  
كذا الآيات التي تصرح بمجيء الله  
سبحانه بنحو تتفق مع قداسته تعالى؛  
و هذا ما فعله أهل البيت عليهم السلام  
على خلاف ما ذهب إليه غيرهم من  
حمل هذه العبارات على ظاهرها،  
فنزلوا الباري عزّ شأنه إلى مستوى  
الممكنات و المخلوقات.

و نورد في هذا الصعيد حديثين فقط  
تاركين إدراج كل ما ورد في هذا  
المجال إلى وقت آخر:

قال الصدوق رحمه الله: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد الكوفي الهمداني قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال عن أبيه قال: سألت الرضا عليّ بن موسى عليهما السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُونَ»<sup>٧٦</sup>.

فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يوصف بمكان يحلّ فيه، فيجب

عنه فيه عباده و لكنّه يعني أنّهم عن  
ثواب ربّهم لمحجوبون». <sup>77</sup>

و قال (رحمه الله): حدّثنا محمّد بن  
إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي،  
قال: حدّثنا أحمد بن محمّد سعيد  
الكوفي الهمداني، قال: حدّثنا عليّ  
بن الحسن بن عليّ بن فضال، عن  
أبيه، قال: سألت الرضا عليّ بن  
موسى عليهما السّلام عن قول الله  
عزّ وجلّ: «وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ  
صَفًّا صَفًّا».

فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُوصَفُ  
بِالْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ تَعَالَى عَنْ  
الْإِنْتِقَالِ، إِنَّمَا يَعْنِي: وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ  
وَ الْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا»<sup>78</sup>.

## تفسير الحالات النفسية

و في ضوء ما تقدّم يجب أيضاً  
تفسير جميع ما أسند إلى الله سبحانه  
- في القرآن الكريم - من الحالات  
النفسية التي هي من شأن الإنسان،  
بشكل يليق بذي الجلال.

و هذا هو أيضاً ما صنعه أئمة  
أهل البيت عليهم السّلام.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: حدّثنا  
محمّد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس  
المعاذي قال: حدّثنا أحمد بن محمّد  
بن سعيد الكوفي الهمداني قال:  
حدّثنا عليّ بن الحسن بن عليّ بن  
فضال عن أبيه عن الرضا عليّ بن  
موسى عليهما السّلام قال: سألته عن  
قول الله عزّ وجلّ: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
بِهِمْ»<sup>٧٩</sup>، و عن قوله: «و مَكْرُوا و  
مَكَّرَ اللَّهُ»<sup>80</sup> و قوله: «يُخَادِعُونَ

<sup>٧٩</sup> . البقرة: ١٥ .

<sup>80</sup> . آل عمران: ٥٤ .

اللَّهِ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ»<sup>81</sup>، فقال: «إِنَّ  
الله تبارك و تعالى لا يسخر و لا  
يستهزئ و لا يمكر و لا يخادع،  
ولكنه عزوجل يجازيهم جزاء  
السخرية و جزاء الإستهزاء و  
جزاء المكر و الخديعة، تعالى الله  
عما يقول الظالمون علواً كبيراً»<sup>82</sup>.

هذه هي طائفة من الأحاديث المروية  
عن عترة النبي عليهم السلام حول  
مجموعة من مسائل التوحيد.

81 . النساء: ١٤٢ .

82 . التوحيد للصدوق، ص ١٦٣ .

# مقارنة

يبقى أمران هما:

أولاً: إنّنا اخترنا كلّ نصوصنا و رواياتنا من كتاب التوحيد للشيخ الصدوق خاصّة، لكونه أقدم نصّ جامع لأحاديث أهل البيت في صعيد المسائل التوحيدية، و هو كتاب غنيّ و زاخر بالمعلومات القيّمة في هذا الصعيد.

ثانياً: إنّ أهميّة أقوال أهل البيت و مدى انسجامها مع روح القرآن و منحاه يتّضحان إذا قورنت بما ورد

في بعض المؤلفات و الكتب حول  
الإلهيات.

فقد جاء في كتابين مكرسين لطرح  
مسائل التوحيد من خلال الروايات  
و الأحاديث، النصّ على جسمانيّة  
الله سبحانه و على وصفه بكلّ ما  
تتّصف به الأجسام و الممكنات، و  
الكتابان هما:

١- كتاب التوحيد و إثبات صفات  
الربّ عزّوجلّ، التي وصف بها  
نفسه في تنزيله الذي أنزله و على  
لسان نبيّه نقل الأخبار الثابتة  
الصحيحة نقل العدول عن العدول



من غير قطع في إسناد و لا جرح  
في ناقلي الأخبار الثقة (وجميع هذه  
الأوصاف موجودة على الغلاف) و  
هو تأليف الحافظ الكبير إمام الأئمة!!  
محمد بن إسحاق بن خزيمة؛ و قد  
راجعته و علّق عليه محمد خليل  
هراس المدرّس بكلية أصول الدين.  
فقد جاء في صفحات هذا الكتاب من  
الأمور الغريبة حول الله سبحانه ما  
تقشعرّ منه الأبدان:

أ- ففي صفحة ١١٤ و ٧٨ و ٧٩  
جاء أنّ لله تعالى أصابع متعدّدة.

ب- و في صفحة ٩٢ و ٩٤ و ٩٥  
و ٩٣ جاء أنّ لله تعالى رجلاً و هو  
يضعها في جهنّم عندما تطلب  
المزيد.

ج- و في صفحة ٥١ و ٤٢ و ٤٣  
جاء أنّ لله تعالى عينين.

د- و في صفحة ٢٣٩ جاء أنّ لله  
ساقاً.

هـ و في صفحة ١٥٦ و ١٧٦ جاء  
أنّ لله صورة.

و- و في صفحة ٢٣٥ و ٢٣٤ و  
٢٣١ جاء أنّ الله يضحك.

ز- و في صفحة ٩٢ جاء أنّ العرش  
الله يحمله ملائكة على صور  
حيوانات.

ح- و في صفحة ١٢٦ و ١٢٧ و  
١٣٠ جاء أنّ الله ينزل من سماء إلى  
سماء نزولاً حقيقياً.

ط- و في صفحة ٢١٧ و ١٩٨ و  
٥٩ و ٢٤١ جاء أنّ الله يرى رأى  
العين.

ي- و في صفحة ١٨-٢٠ جاء أنّ الله  
وجهاً.

٢- كتاب السنّة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد، بتحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول؛ و قد وصف نفسه على الغلاف بـ«خادم السنّة المطهّرة».

و قد جاء في هذا الكتاب مضافاً إلى الأبواب المذكورة أعلاه طابق النعل بالنعل:

أ- أنّ الله يتمثّل للناس (راجع الصفحة ٢٠٦ من ذلك الكتاب).

ب- أنّ لله مكاناً يقعد عليه (راجع الصفحة ٨٠).

ج- أنّ لله صدراً و ذراعين (راجع  
الصفحة ١٠٩).

د- أنّ لله رجلاً و كرسيّاً (راجع  
الصفحات: ٧٩-٨١-١٦١-١٧٢-  
٢٠٦-١٨٧-١٨٤).

هـ- أنّ الله يمرّ أمام الناس في النار و  
يبقى أثره (راجع الصفحة ٢٠٧).

و- أنّ لله نفساً (راجع الصفحة  
١٩٠).

ز- أنّ لله يداً (راجع الصفحة ٧٦  
و ٧٧ و ١٥٤ و ١٧٩ و ٢٠٩).

و الطامّة الكبرى أنّ هذه الأحاديث  
التي رواها و نقلها و دوّنها كبار  
السلف تلقّاهم المحدثون بالقبول، و  
أوردوها في صحاحهم و سننهم و  
مسانيدهم و دارت عليها رحي  
العقائد و استمدّت الأفكار منها  
تصوّراتها حول الحقّ جلّ جلاله،  
فكوّنت عن الله صورة بشرية  
إمكانية تشبه ما جاء في كتب اليهود  
و النصارى.

و المشكلة الأساسية هي تأثر هذه  
الفرق بالتصوّرات الأجنبية عن  
روح القرآن الكريم التي حملتها

الفلسفات الوافدة، إلى جانب ابتعاد  
هذه الفرق عن أهل بيت النبوة الذين  
أقامهم النبي محمد صلى الله عليه و  
آله من بعده علماً يهتدي في الظلمات  
و مشعلاً يستضاء في المتاهات.

و في الخاتمة نذكر القارئ الكريم  
بأن ما أدرجناه هنا من الأحاديث  
ليس سوى نماذج، بل إن البحث هذا  
ما هو إلا إشارة عابرة إلى هذه  
القضايا.